# نُعوت الشُّعراء

## آفاق المعنى وتحوّلات القيمة

**د. خالد بن عايش الحافي**
كلية الآداب.جامعة الملك سعود

**ملخص**

يتناول هذا البحث نعوت الشعراء، إذ ممَّا يلفت النظر كثرة النُّعوت التي يُنعت بها الشُّعراء، إنْ في الشِّعر، أو في مدوّنات النَّقد، أو في كتب التراجم والسِّير، قديما وحديثًا. وليس المقصود بالنعت هنا ذلك الذي يؤدي وظيفة نحوية في السِّياق النحوي، كما هو معروف، وإنَّما المراد به ما يُحيلُ إلى قيمةٍ نقدية، أو ما يُفهم منه تصنيفٌ للشاعر، وإن لم يُعطِ حُكْمَ قيمة. فيقال على سبيل المثال قديمًا: شاعرٌ فَحل أو مُفلق، أو شاعرٌ مُجيد أو مُحسن، في حين يُقال حديثًا: شاعرٌ كَبيرٌ أو شاعرٌ مُبدع.

**الكلمات المفتاحية** : شعراء ، نعوت ، القيمة ، المعنى.

**Abstract:**

This paper deals with epithets of poets. The large number of epithets that are styled poets has become a phenomenon draws attention, whether in poetry, critical works, or in the books of biographies and autobiographies, past and present. Here, we do not mean by epithet, which performs the function of syntactic in grammatical context, as it is known, but what refers to a critical value, or what is understood as classification of the poet, even if it does not give a judgment of value. It is said in the past, for example: a potent poet pre-eminent , glorious or masterly while recently it is said: a great or originative poet.

**مقدمة**

يُعَدُّ الشُّعراءُ من أكثر المبدعين الذين نالوا نصيبًا وافرًا من التَّصنيف والنَّقد في التراث الأدبي العربي. ولعل هذا عائدٌ إلى سمو منزلة الشعر عند العرب بوصفه فنَّهم الأول الذي كانوا لا يَعْدلون به فنًا آخر. لذا كثر التأليف في نقد الشِّعر، وشرحه والعناية به. فقد زاد اهتمام المؤلفين بالشُّعراء منذ زمنٍ مبكرٍ، فصنّفوا كتبًا في أسمائهم، وشرح معانيها، وألقابهم وكُناهم، وسِيَرِهم والتعريف بهم، مثل ما صنع الآمدي في كتابه( المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وبعض شعرهم).

وممَّا يلفت النظر كثرة النُّعوت التي يُنعت بها الشُّعراء، إنْ في الشِّعر، أو في مدوّنات النَّقد، أو في كتب التراجم والسِّير، قديما وحديثًا. وليس المقصود بالنعت هنا ذلك الذي يؤدي وظيفة نحوية في السِّياق الإعرابي، كما هو معروف، وإنَّما المراد به ما يُحيلُ إلى قيمةٍ نقدية، أو ما يُفهم منه تصنيفٌ للشاعر، وإن لم يُعطِ حُكْمَ قيمة. فيقال على سبيل المثال قديمًا: شاعرٌ فَحل أو مُفلق، أو شاعرٌ مُجيد أو مُحسن، في حين يُقال حديثًا: شاعرٌ كَبيرٌ أو شاعرٌ مُبدع.

وممَّا يدل على أهميَّة تلك النُّعوت وعلى قيمتها النقدية، ما رواه أبو حاتم السجستاني عن الأصمعي في (كتاب فحولة الشُّعراء) كما سيأتي في موضعه؛ وهي من أكثر المصطلحات التي ترد في نعت الشعراء وقد ذكر النَّديم في (الفهرست) أنَّ لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي كتابًا في الفحول ذكر ابن خلِّكان أنّه مجموعٌ سمّاه (فحول الشُّعراء)جمع

فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين[1].

وأهمُّ منه في موضوع هذا البحث ما ذكره النديم في (الفهرست) من أنَّ أبا عبيد الله المرزباني عقد فصلًا في كتابه الموسوم بـــــ (الكتاب المفيد) ذكر فيه مرويَّات تضمَّنتْ نعوت الشعراء، وعيوبهم في أجسامهم لكنَّه مفقود[2]. وذكرها الشاهد البوشيخي في العصر الحديث في كتابه (مصطلحات النَّقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين)، لكنَّه اقتصر على ما ورد منها في الشِّعر الجاهلي والإسلامي، في حين أشار إليها توفيق الزَّيدي في كتابه(جدليّة المصطلح والنّظرية النّقدية) تحت عنوان (تسمية الشعراء)، مُتناولًا النعت بالفحل فقط، وتسمية الشُّعراء بسوابق الخيل.

ومن المعروف أنّ نعت الشعراء بتسميات سوابق الخيل، كالسَّابق والمُجلِّي والمُصلِّي والسِّكِّيت قليل الاستعمال في الشعر، ومدوّنات النقد والمصادر الأخرى، مثل شروح الشعر، والتراجم والسِّير. فليس انتشار شاعرٍ سابقٍ أو مُجَلٍّ أو مُصَلٍّ بمثل انتشار شاعر فَحْل ومُفْلِق ومجيد ومحسن في تلك المصادر المختلفة. لكنّ في إشارات الباحثينِ وإنْ كانت عابرة، دلالات مُعَبِّرة، وجهودًا مشكورة. غير أنّ هذا البحث لا يهدف إلى شرح معاني تلك النُّعوت، بقدر ما يُعنى بمعرفة مصادرها، ومستوى تداولها، وبيان أنواعها، والكشف عن قيمتها النقدية.

ثُمَّ إلى أيِّ مدى يمكن أنْ تكون هذه النعوت البُذور الأُولى للنَّقد الأدبي؟ وهل تُحيلُ إلى قيم نقدية ذات حُكْمٍ واضحٍ في شعر الشاعر مدحًا أو ذَمًّا، أم أنَّها درجات متفاوتة، ووجهات متباينة؟ وهل هي مصطلحات خاصة بالشُّعراء دون غيرهم، أم أنَّها مُشَاعةٌ يُنْعَتُ بها المُبدعون كلُّهم؟ وما مدى تطوّرها دلاليًا في النَّقد العربي، وإلى أيّ حدّ يمكنُ أنْ تُعَدّ من مصطلحاته؟ وهل تحوّلتْ إلى ألفاظ أخرى، لم تكن متداولة من قبل؟ وما قيمتها في الخطاب النَّقدي؟ ثمَّ ما الفرق بينها وبين ألقاب الشُّعراء؟ وماذا عن نعت الشواعر؟ وكيف يُنعتن؟ أم أنَّ النعت الشعري كان ذكوريًّا في تداولاته كُلِّها؟.

هذه التساؤلات كانت دافعًا إلى البحث في هذا الموضوع الذي يحتاج إلى مزيد بسط يضيق عنه المجال هنا؛ نظرًا لتَشَعُّب مصادره، واختلافها وغزارة مادتها، وسأحاول - فيما يلي- الإجابة عن تلك التساؤلات، وعمَّا قد يتفرَّع عنها من أسئلة أخرى، من خلال تتبّع مصادر تلك النعوت التي ذاعتْ فيها، وبيان أنواعها، والكشف عن قيمتها، وتحولاتها ودلالاتها.

- **النُّعوت: المصدر والذُّيوع**

ظهرتْ نعوت الشعراء أوَّل ما ظهرتْ في الشِّعر نفسِه. فهو أوَّلُ مصدر ذاع فيه أشهر هذه النُّعوت، وهو "الفحل" قبل ذيوعه في النقد العربي القديم، وسائر المصادر الأخرى. فقد تداوله الشُّعراء، ونعتوا به أنفسَهم ، قبل أنْ ينعتهم به النّقاد وغيرهم. ومن أمثلته ما يُلمح في قول النَّابغة الذُّبياني:

**يَصُدُّ الشاعرُ الثُّنْيَانُ عنِّي صُدودَ البَكْرِ عن قَرْمٍ هِجَانِ[3]**

---

([1]) ينظر: النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق(ت438ه/1047م): **الفهرست**، قابله بأصوله وأعده للنشر، أيمن فؤاد سيّد، ط/2، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، 1435، 2014،ج1ص528. وينظر: ابن خلِّكان، أحمد بن محمد(ت681ه/1282م): **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر1970،ج2ص11.وهو فيما يُقال مختار على غرار الحماسة، وقد ذكره غير واحد. فقد ذكره بروكلمان ضمن اختيارات أبي تمام باسم( **فحول الشعراء**)،فقال: "وهو مجموعة من الأشعار لشعراء جاهليين وإسلاميين". ينظر: بروكلمان، كارل،(ت1375ه/1956م): **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر1961،ج2ص71. كما ذكره محمد أسعد طلس في بحثه "**نفائس المخطوطات العربية في المشهد الرضوي**" باسم (**فحول الشعراء**)، وأشار بأنَّ الآمدي قد ذكره في الموازنة بين الطائيين، ووصفه أسعد طلس بأنّه ديوان في (193) ورقة سلك فيه مسلك الحماسة فرتّبه على الأبواب الآتية: باب الأضياف فباب السخاء فباب الأدب فباب المراثي فباب النسيب ثم باب الهجاء. ينظر: **مجلة المجمع العلمي العربي** بدمشق، العدد 24 عام1949م،ص274. وأشار إليه العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي في مقدمة تحقيقه **لكتاب الوحشيات** لأبي تمام، منشورات دار المعارف 1963م،ص5.

([2])ينظر: **المصدر السابق** ج1ص409.

([3])النابغة الذبياني(ت604م): **ديوانه**، صنعة ابن السّكيت تحقيق: شكري فيصل، دار الفكر 1968، ص 149.

يشير إلى نفسه بالفحل الكريم ، ويَنْعتُ الشاعرَ الذي يصُدُّ عن لقائه بالثُّنيان، كما يصُدُّ البكرُ عن الفحل خوفًا منه. ومثله قول حسَّان بن ثابت:

**ويَصُدُ عَنِّي المُفْحَمُونَ كما صَدَّ البَكَارةُ عن حَرى الفَحْلِ**[4]

ويقول الحطيئة لكعب بن زهير:" قد علمتَ روايتي شعرَ أهلِ البيت، وانقطاعي، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرك..."[5]، ويذكر الفحول صراحةً سُراقة البارقي في قوله:

**واذْكُرْ لَبِيدًا في الفُحُولِ وحَاتمًا سَيَلُومُكَ الشُّعراءُ إنْ لَمْ تَفْعلِ**[6]

ويقول سُحيم بن وَثيل الرِّياحي:

**عَذَرْتُ البُزْلَ إذ هي صَاولتْني فما بالي وبال ابني لَبُونِ**[7]

ومثله قول جرير:

**وابنُ اللَّبُونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يَحْتَمِلْ صَوْلَةَ البُزْلِ القناعِيسِ**[8]

وقول نابغة بني شيبان:

**مِنَ الشُّعراءِ أَكْفَاءٌ فُحُولٌ وفَرَّاثُونَ إنْ نَطَقُوا أَسَاءُوا**[9]

ويتَّضح ذلك في قول مروان بن أبي حفصة:

**وَإِذَا هَدَرْتُ مَعَ القُرُومِ مُحَاضِرًا في مَوْطِنٍ فَضَحَ القُرُومَ هَدِيْرِي**[10]

فالفحول والبُزل والقُروم نعوتٌ أسبغها الشعراءُ على أنفسِهم، غيرَ أنّ القرم والبازل من صفات فحل الإبل بخاصة ، وإنْ نُعِتَ الرجل الشجاعُ بالقرم، فلا يُنعَت به الشاعر ، مثل ما يُنعَت بالفحل، فلا يُقال: شاعرٌ قرمٌ، أو بازل في حال نعت الشاعر بالقوة، وإنّما يُقال: شاعرٌ فحل. وقد ورد هذا النّعت في سياق المدح، أو الفخر بشعرهم، كما وردتْ نعوتٌ أخرى في سياق الذَّم، مثل الثُّنيان، والمُفْحَم، والفرّاثين. وقد ساقوها هنا على سبيل المقارنة بينهم وبين شعراء آخرين لبيان مكانتهم الشِّعرية، وأنّها تفوق مكانة أولئك الشعراء.

وهنا إشارةٌ مُؤَدَّاها أنَّ بُذور النقد العربي الأُولى كان منبتها نعوت الشعراء أنفسهم، وكانت وسيلتهم إلى ذلك النعت القيمي -إنْ صحَّتْ التسمية- الذي يحيل إلى قيمة نقدية عندما يَنعتُ به الشاعرُ نفسَه، أو غيره من الشعراء. لذا يذهب الشاهد البوشيخي إلى أنّ الشعراء هم الواضعون الأُوَل لمصطلحات النقد[11]، ويَردُّ طه أحمد إبراهيم مرجعيَّة النصوص القديمة الدّالة على بدايات النقد العربي إلى الشعراء أنفسهم[12]، ويَعُدُّ أحمد أحمد بدوي نعوتَ الشعراء جزءًا من الأسس التي بُني عليها النقد الأدبي القديم عند العرب، فيرى أنَّ منها " وصفهم لنُصيب بأنَّه كان شاعرًا فحلًا"[13].

---

([4])حسان بن ثابت(ت54ه/674م): **ديوانه**، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990، ص398.

([5])الجمحي، ابن سلاّم(ت231ه/846م): **طبقات فحول الشعراء**، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، د.ت.ج1ص104.

([6])البارقي، سراقة(ت79ه/698):**ديوانه**، تحقيق وشرح حسين نصار ، ط/1،مطبعة لجنة التأليف والترجمة،1947.ص70.

([7])الجمحي، **طبقات فحول الشعراء** ج 2 ص579.

([8])جرير،(ت110ه/728م): **ديوانه**، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد طه، القاهرة، دار المعارف 1971، ج1ص128.

([9])نابغة بني شيبان، عبد الله بن المخارق**(126ه/744م): ديوانه**، ط/1،مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1932،ص38.

([10])مروان بن أبي حفصة(182ه/798م):**ديوانه**، جمع وتحقيق حسين عطوان، دار المعارف ط/3،د.ت.ص55.

([11])ينظر: البوشيخي، الشاهد، **مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط/1993،1، ص 58.

([12])ينظر: إبراهيم، طه أحمد(ت1354ه/1935م): **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت. ص18.

([13])بدوي، أحمد أحمد، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، دار نهضة مصر، 1996، ص538.

ولم يصرِّح الشعراء بمعاني تلك النعوت في قصائدهم، وإنّما كانوا يُلمحون إليها إلماحًا، وليس من المـُتعيِّن على الشعر أنْ يصرِّح أو يفسِّر، فحسبُه الإلماح والإيماء. يمكن القول إذنْ إنّ المصدر الأول الذي ذاعت فيه نعوت الشـعراء هو الشعر، وبخاصة الفحل. فهو النَّعت القِيْمي الذي ورد في أشعارهم - قبل أن يتداوله النقاد- أكثر من ورود النُّعـوت الأخرى[14]. أمّا حضور سائر النُّعوت في الشعر، بعد أن تداولها النُّقاد فواضحٌ مُطَّرد، منه على سبيل المثال ما ينسـب إلى دِعْبِل الخزاعي قوله:

**يَا عَجَبًا من شـاعرٍ مُفْـلِق آبَـاؤهُ في طَيِّءٍ تَنْـمِـي[15]**

غيرَ أنَّ تداول النُّعوت، وحركة انتشارها في مصدرها الأول/الشعر، لم يكن بمستوى تداولها وانتشارها في سائر المصادر الأخرى التي أصبحت فيها النعوت الشعرية حاضرةً بوضوح، حتى النعت بالفحل، وهو الأكثـر رواجًـا فـي الشِّعر، يُعَدُّ بالقياس إلى وروده في تلك المصادر قليلًا.

وإذا كان الشِّعر المصدر الأول لنعوت الشعراء، فهو ليس بالمصدر الوحيد، وإنّما تعددتِ المصادر التي راجـت فيها هذه النعوت. فهناك مدوّنات النقد العربي، وكتب التراجم والسيَر، وشروح الشعر، كلُّها تعد مـن مصـادر نعـوت الشعراء في مختلف العصور الأدبية.

فالمدوَّنات النَّقدية من أكثر المصادر التي ذاعت فيها نعوت الشعراء أهمية، وبخاصة عنـد النُّقـاد القـدامى[16]. فالنُّعوت فيها أقوى حضورًا، وأهمُّ قيمة، وأكثر تنوُّعًا منها في الشعر.

وتميَّزت النُّعوت في مدوَّناتهم بأنَّها تحمل أحكام قيمة معلَّلة حينًا، وغير معلّلة أحيانًا. واطَّردت في أقوالهم، بـل تجاوزتِ الأقوال إلى التأليف. كما أشرتُ آنفًا إلى (كتاب فحولة الشعراء) للأصمعي، وعملين آخرين أحدهما لأبي تمـام والآخر للمرزباني[17].

وقد نعت النقاد الشعراء بعدد غير قليل من النعوت، لكنَّ الفحل والمـُفْلِق والمـُجيد والمـُحسن أكثرها تداولًا في مُصنَّفاتهم. و"الفحل" أكثر هذه الأربعة استعمالًا عند المتقدمين. فلم يكد الأصمعي يجيـب بغيـره عـن أسـئلة تلميـذه السجستاني عن الشعراء، كقوله مجيبًا عن سؤاله:" قلتُ: فالأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة، قال: ليس بفحـل، قلـتُ: فعلقمة بن عَبَدَة، قال: فحل، قلتُ: فالحارث بن حِلِّزة، قال: فحل ، قلتُ: فعمرو بن كلثوم، قـال: لـيس بفحـل، قلـتُ فالمسيَّب بن عَلَسَ، قال : فحل، قلتُ فعدي بن زيد، أفحلٌ هو؟ قال: ليس بفحلٍ ولا أُنثى"[18]. وهكذا يمضي أبو حاتم في

---

([14])أورد الشاهد البوشيخي عددًا من النعوت التي ذكرها الشعراء الجاهليون والإسلاميون في شعرهم، مثل : مغزر وغزير، ومُتَخَلِّل وماهر وكريم ومفتعل و ثنيان، ومفحم ومكفئ و مُتَحَل، ولحَّان وسروق وفرَّاث ومجتلب، وذكر أن النعت بمغزر من أقدم النعوت، وأكثرها استعمالا في الشعر، والواقع أنه لا يقارن كثرة واستعمالا وقدمًا بالنعت بالفحل. كما أغفل نعوتًا وردت في الشعر من مثل: البكيء. ينظر: البوشيخي، **مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين**،ص165.

([15])نسبه أبو الفرج الأصفهاني(356ه/967م) في **الأغاني**، تحقيق إبراهيم الأبياري، طبعة خاصة إصدار دار الشعب. 1969، ج22ص7787،إلى دعبل وليس في ديوانه.

([16])القدامى هنا صفة تحيل إلى كل ما قبل العصر الحديث.

([17])ينظر: ص1، الهامش رقم 1، من هذا البحث.

([18])الأصمعي، عبد الملك بن قريب(ت216ه/831م): **كتاب فحولة الشعراء**، طبع بتحقيق: شارل توري، وتقديم صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد ص 15، 1971. وقد عَنْوَنَ المحقق هذا المـؤلَّف بـ(كتاب فحولة الشعراء)، وسمّاه كاتب المقدمة صلاح الدين المنجد، وغيره برسالة، والمشهور أنّها رواية من ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي، لكنّ أبا حاتم صرَّح في الكتاب نفسه بأنّه يكتب عن الأصمعي. فقد قال: "ولما رآني أكتب قوله..".

قد يستوقفنا سؤال عن مراد الأصمعي بقوله في حق عدي بن زيد: " ليس بفحل ولا أنثى". فقد يتبادر إلى الذهن أنه يشير إلى أنّه شاعر خَصيٌّ؟! لكنَّ الخصي في كتب التراث يُنعت به الشعر، ولا يُنعت به الشاعر، بخلاف الفحل الذي نُعِت به الشعر والشاعر. والشعر الخصي في التراث هو الذي يخلو من النسيب ويهجم فيه الشاعر على موضوعه مباشرة. ينظر: البحث الماتع الذي كشفتْ فيه عن هذا المصطلح فاطمة الوهيبي بعنوان: **(العنف في المصطلح النقدي، الشعر الخصي نموذجًا)** نشر في **الكتاب المهدى إلى الأستاذ الدكتور عبد العزيز المانع**، من إصدارات مركز حمد الجاسر الثقافي، ط/1، 1434، 2013. ص 201. والذي أميل إليه أنَّ مراد الأصمعي هو نفي القوة والضعف معًا، عن شعر عديّ بن زيد، وأنّ شعره وسط بين المنزلتين.

سؤال شيخه، وهو يجيب بفحل أو ليس بفحل.

ويقوم الكتاب كلُّه على هذا النعت في مصطلح شبه مُنغلق لا يتعداه إلى نعت آخر، سوى النعت بـــ " مُفْلِق" فقد أورده في نصّين فقط. الأول منهما قوله:"وفُسْحُم شاعرٌ جاهلي مُفْلِق"[19]، والآخر قوله عن هذيل:" فيهم أربعون شـــاعرًا مُفْلِقًا"[20]. في حين تتسع هذه الدائرة عند ابن سلام في (طبقات الشعراء)، فتشمل نعوتًا غير متداولة مـــن قبـــل. إذ ورد عنده إضافة إلى النعت بالفحل النعت بـــ"مُفلق" أكثر ممّا ورد عند الأصمعي. فقد نَعَتَ به عددًا من الشعراء فـــي مثـــل قوله: "وكان النَّابغة شاعرًا مُفْلِقًا"[21]، ونعت به شعراء آخرين مثل: المـــخَبَّل والزبْرِقَان وكعب بن جُعيل، وأتى بنعوت أخرى لكنَّه لم يستعملها إلا قليلًا. مثل: مُجيد ومُحْكِم وخنذيذ ومُتَمَكِّن ومُغَلّب. فيقول مثلًا: " وتميم بن أُبيٍّ بن مقبل شاعرٌ مُجيدٌ مُغَلَّب"[22]، و"سُويد بن كُراع العُكلي، وكان شاعرًا مُحكِمًا"[23].

ويذكر الجاحظ في( البيان والتبيين) الفحل والخنذيذ والمفلق مبيِّنًا مراتبها، وشارحًا معنى الخنذيـــذ[24]، ولا تكـــاد تخرج أكثر نعوت ابن قتيبة عن " مُجيد" وما اشتُق منه. فيقول على سبيل المثال : "شاعر مُجيد، وجواد، وجيِّد الشـــعر، ومما يُستجاد له، ومن جيِّد شعره"[25]. وقد يورد نعتًا لم يرد عند سابقيه، وهو النعت بـــمُحسن، وحسن الشعر[26]، ثـــم يَكثرُ - فيما بعد- هذا الأخير عند النقاد، إذ تكاد تدور نعوت ابن المعتز في (طبقات الشعراء)في فَلَك النعـــت بمُحســـن وصيغه المختلفة، مثل قوله: "شاعر محسن، ومما يستحسن لـــه، وحســـن الشـــعر"[27]. ويـــذكر القاضـــي الجرجـــاني في(الوساطة بين المتنبي وخصومه) المفلق والبكيء والمـــفْحم[28]، ثم أخذتْ هذه النعوت تشيع عند كثير مـــن النّقـــاد. فيورد ابن رشيق القيرواني في(العمدة) بعضها شارحًا معانيها؛ كما سيأتي. وكلما خطا النقد خطوات إلى الإمـــام جـــدّتْ نعوت أخرى، فأصبح الشاعر يُنْعَتُ بالمطبوع والحاذق، والمقتدر والظريف والبارع.

ولم يُغْفِلْ أصحابُ كتب التراجم و السِّيَر نعت الشاعر، إذ غالبًا ما ينعتونه حين يعرضون لترجمته، وإنْ كانـــت نعوتهم تأتي عَرَضًا في أثناء حديثهم عن سيرته. والمعروف أنّ التراجم والسِّير تأتي على نوعين، فمنها عـــام يتـــرجم للشعراء ولغيرهم، وخاص يترجم للشعراء أو الأدباء دون غيرهم. ولم يقتصر القول هنا على النوع الخاص منها، وإنَّما شمل النوعين كليهما؛ لأنّ أصحاب التراجم العامة غالبًا ما ينعتون الشاعر الذي يترجمون له حتى نعتـــوا مـــن نظـــم الشعر، وإنْ لم يُعرف شاعرًا. ولأنَّهم أشاعوا نعوتًا لم تكن متداولة عند سابقيهم من الشعراء والنقاد؛ كما ســـيأتي فـــي موضعه. من هنا تُعَدُّ كتب التراجم والسِّير من المصادر التي أسهمتْ في ذيوع كثير من نعوت الشعراء، وفي ترسيخها في ذائقة الناس على مرِّ العصور لكثرة تداولها بين النَّاس، ورجوعهم إليها إذا ما أرادوا معرفة سيرة أحد ما.

فيُنوِّع الأصفهاني في (الأغاني) نعوته، بمعنى أنّه لم يستقر على نعوت السابقين، فهو يَنعتُ بالتَّرسُّـــل والبلاغـــة والطبع، كما يَنعتُ بالمجيد. يقول في ترجمته للعَتَّابِّي:" شاعرٌ مُتَرسِّلٌ بليغٌ مطبوعٌ"[29]. والمعـــروف أنَّ التَّرسُّـــل يكـــاد

---

([19])**السابق** ص 17. لم أجد لهذا الشاعر ذِكْرًا بهذا الاسم فيما اطلعتُ عليه من مصادر.

([20])**السابق** ص 19.

([21])الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**،ج1 ص123.

([22])**السابق** ج1 ص176.

([23])**السابق** ج1ص150.

([24])ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر(ت255ه/869م):**البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط/4،د.ت،ج2ص11.

([25])ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم(ت276ه/889م): **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة دار المعارف، ط/2، 1966، جـــ1 الصفحات: 135، 235، 295،296، 299.

([26])ينظر: **السابق**، ج1ص283. ج2 الصفحات:603، 622، 430.

([27])ابن المعتز، عبدالله بن محمد(ت296ه/908م): **طبقات الشعراء**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ط/4،1981.ص 37،ص38.

([28])ينظر: القاضي الجرجاني، عبد العزيز بن علي(ت392ه/1001م): **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية بيروت، بدون رقم طبعة 1431،2010،ص23.

([29])الأصفهاني، **الأغاني** ج13ص4621.

ينصرف إلى كُتَّاب دواوين الرسائل بخاصة، ولعله أراد هنا أنَّه يجمع بين الشِّعر والكتابة. وتكاد نعوت المرزباني في( معجم الشعراء)، تقتفي نعوت سابقيه من النقاد، كالفحل والمفلق والمجيد. على أنَّه يوردُ غيرَها، مثل النعت بالاقتدار[30]. في حين يُكثر النديم في (الفهرست) من نعت الشعراء بالتَّرسُّل، والفصاحة، فيقول:" وكان شاعرًا مُترسِّلا"[31]،" وكان شاعرًا فصيحًا"[32]، ويَنْعت بالصِّدق، فيقول مثلا :"شاعر صدوق"[33]. وتكاد تتكرَّر نعوت ياقوت في( معجم الأدباء) بالمجوِّد والمجيد[34]. أمَّا ابن خلِّكان في ( وفيات الأعيان) فأكثرُ ما يَنْعَتُ به الشُّعراء الشهرة، فهو يكثر من قوله: شاعر مشهور، أو الشاعر المشهور، أو الأشهر[35].

وتُعَدُّ كتب التراجم والسِّير ميدانًا فسيحًا، وفضاءً واسعًا لذيوع نعوت الشعراء وانتشارها بأنواع متغايرة. غير أنَّ حركة النعوت في تلك المصادر المختلفة من شعر ومدوّنات نقدية وتراجم وسير تتفاوت تفاوتًا كبيرًا فيما بينها، من حيث القيمة والحضور والتنّوع. فحين أخذتْ كتب التراجم والسِّير منها بنصيب وافر من حيث الحضور والذيوع، جاءت النعوت في كتب النَّقد دقيقة من حيث الاستعمال، مُتَدرِّجة من حيث الانتشار، بينما كانت في الشعر أقل استعمالًا، وأضيق تداولًا منها في المصدرين الآخرين. لكنَّ وجودها في كتب التراجم والسِّير لا يوازي من حيث القيمة النقدية وجودها في مدوّنات النقاد، ولا في الشعر أيضًا، وبخاصة عند المتلقي المتخصص، أو من له دراية بالشِّعر.

ذلك أنَّ النقاد والشعراء- إلى حدٍ ما- أدقُّ استخدامًا لها، وأعمق معرفة بها من غيرهم، وإذا كان للشعر ظروف فنّية قد تحدُّ من انتشار النعوت فيه فقد كان أصحاب التراجم والسِّير أقلَّ تورّعًا في إطلاقها على الشعراء من غيرهم. فهم يعتمدون غالبًا على ما يشيع عن الشاعر من أخبار وألقاب ونعوت فيثبتونها في كتبهم دون تمحيص أو تروٍّ، بخلاف النُّقاد الذين يتحرَّجون من إطلاق عبارات قد تدل على قِيَم نقدية لأنَّهم يدركون أهمية إصدار النعت القيمي على الشاعر؛ إذ ينبغي ألاّ يصدر إلاّ عمّن له دراية ومعرفة بالشعر.

ولا يعني هذا أنّ نعوت الشُّعراء في كتب التراجم والسِّير كُلِّها ساقطة القيمة؛ فثمة تراجم وسِير كُتَّابها معدودون في النّقاد، أو هم نقاد بالأصالة، وكُتَّاب تراجم بالتَّبَعية. فطبقات الشعراء لابن سلام، والشعر والشعراء لابن قتيبة ومعجم الشعراء للمرزباني وما شابه، تدخل من حيث التصنيف - وإنْ عُدّتْ في النقد- في النّوع الخاص من كتب التراجم والسِّير. لذا يكون لما يرد فيها من نعوت، أو أحكام نقدية، أو آراء اعتبار عند أولي الاختصاص.

ولم يُكتب لبعض النعوت الذيوع والانتشار في المصادر السابقة. إذ لم ينتشر النعت بالخنذيذ الذي ذكره ابن سلّام والجاحظ[36]، ولم يتداوله النقاد أو غيرهم. ولعل السَّبب يعود – فيه وفي غيره من النُّعوت التي لم تلق انتشارًا- إلى أنّ النعت نفسه ليس له معنى قارّ، ولا حدود ثابتة عند النقاد وأصحاب معاجم اللغة.

- **النعوت : النوع والقيمة**

يجدر بنا قبل أن نبيِّن نوع النعت وقيمته أن نفرِّق بينه وبين اللقب، أعني ألقاب الشعراء، وبخاصة ما يحيل منها إلى قيمة نقدية، أو يُفهم منها وصفٌ لشعر الشاعر. فاللقب الذي يُعرَفُ به الشاعر من النادر أنْ يصف شعره، وإنما الغالب عليه أنْ يصف الشاعر نفسه، إمَّا لعاهة فيه، كالأعشى مثلًا أو بسبب كلمةٍ طريفةٍ ذكرها في شعره فلُقِّب بها. وقد

(30)المرزباني، محمد بن عمران(ت384ه/994م): **معجم الشعراء**، تحقيق فاروق اسليم، دار صادر بيروت، ط/1، 2005، ص291.

(31)الحموي، ياقوت بن عبد الله(622ه/1225م):**معجم الأدباء**، تحقيق إحسان عباس، ط/1، دار الغرب الإسلامي،1993م الصفحات:51، 103، 160، 171.

(32)النديم، **الفهرست**،ج2 ص172.

(33)**السابق** ج 2ص178.

(34)**السابق** ج 2ص 179.

(35)ابن خلِّكان، **وفيات الأعيان**، ج1، الصفحات:44، 45، 53، 58.

(36)ينظر: الجمحي، **طبقات فحول الشعراء** ج 2ص579، وينظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج2ص9.

وضع فيها القدماء عددًا غير قليل من المصنَّفات[37]، ونالتْ نصيبًا من التأليف عند المعاصرين. في حين لم ينل نعوتَ الشُّعراءِ شيءٌ منه حسب علمي. فلا يحيل اللقب في الغالب إلى قيمة نقدية، ثم إنَّه يكون خاصًا بالشاعر، ولا ينصرف إلى غيره، وإنْ أعطى شعرَ المنعوت – أحيانًا- قيمةً نقدية، كالمُحَبِّر والمُهَلْهِل. فقد قيل: إنَّ الأوّل لُقِّب به لأنَّه يحُسِّنُ شعره والآخر لهلهلته شعره ورقته[38].

أمَّا النَّعت فلا يَخصُّ شاعرًا بعينه، ولا يكون علمًا عليه، وإنما هو مُشاع بين الشعراء. فالفحل والمُجيد -مثلًا- يُطلقان على كل شاعر تتوافر في شعره القوة أو الجودة. وقد يَتَّفقُ أنْ يكون النَّعتُ المتداولُ بين الشعراء لقبًا على شاعر بعينه فيصبح خاصًا به، وعلمًا عليه لسبب من الأسباب، كما هي الحال في قصَّة علقمة الفحل، لكنه يُعدُّ من النّادر.

أمَّا من حيث تصنّيف نعوت الشعراء في مصادرها المتنوِّعة فهي أنواعٌ مختلفةٌ بحسب ما تحيل إليه من معان. فيَدل بعضها على حكم قيمةٍ في شعر الشاعر، إنْ له أو عليه، ولا يدل بعضها الآخر على ذلك. ومن هنا يمكن أنْ تكون على نوعين رئيسين: الأول منهما نعوت قيمية، والآخر نعوت غير قيمية. فمثال النّوع الأول هو: الفحل والمفلق والمُجيد والمحسن والمُحْكِم والمتمكِّن والمطبوع والمقتدر والخنذيذ والمتكلِّف والمُفْحَم والمُقْحَم والثُّيان، ولاسيما الأربعة الأُول الأكثر سيرورة ودورانًا في مدوّنات النّقاد بخاصة، تدل معانيها على حكم قيمة في شعر الشاعر، إنْ مدحًا أو ذمًا، ويمكن تفريعها عند التّأمل إلى نوعين أيضًا الأول منهما ما يَدل لفظُه على معناه، مثل: المُجيد والمُحسن والمُحكِم والمُجوِّد، والمقتدر والمتمكِّن. فهذه النُّعوت عبارات إشادةٍ تدلُ على الجودة والإحسان والإحكام والتّجويد والقدرة والتَّمكّن في الصَّنعة، والمُتَكَلِّف والمُغَلَّب منها تدل على الذَّم.

أمَّا النّوع الآخر: فهو ما لا يدل لفظه على معناه وإنما يُلمح فيه المعنى المراد منه، مثل: الفحل والمُفْلِق والخنذيذ، والمطبوع والثُّيان والمُقْحَم والمُفْحَم. فالفحل هو الذكر من كل حيوان[39]، والمراد به هنا فحل الإبل بخاصة. لكنْ لماذا نعت الشاعر العربي نفسه، ومن بعده النقاد، بالفحل؟ الذي يبدو أنّهم يُلمحُون إلى ما يدل عليه هذا اللفظ من معنى القوة. فهم يرونه رمزًا للقوة والغلبة، إذ لجأ الشاعر حين أراد التعبير عمّا يدل على قوة شعره إلى البيئة التي يعرفُها، فعبر بألفاظها المتداولة بين أهلها عمّا أراد من معنى. ولعل أقرب مظهر من مظاهر القوة التي يراها العربي في بيئته فحل إبله، فبما أنّ الفحل يُظهرُ في حال هِيَاجِه وخَطَرَانِه وهديره وإظهار شِقْشِقته وصَرِيف أنيابِه من دلائل القوة ما يجعله مهيبًا في عيون ناظريه اتَّخذه الشاعر العربي القديم رمزًا لقوة شعره وهيبته، وبخاصة عند مهاجاة الشعراء. لذا فالشعراء غالبًا ما يُعَيّرون المُغَلَّبين منهم بالفحول المَخْصيَّة التي لا تصول ولا تهيج، مثل قول جرير في هجاء الشعراء الذين غلبهم، وقد تركهم كأنَّما نسُوا الشَّعر:

**غادَرْتُهم مِنْ حَسيْرٍ ماتَ في قَرَنٍ وآخَرِيْنَ نَسُوا التَّهْدَارَ خِصْيَانا[40]**

وربما اتَّخذ الشُّعراءُ الفحلَ نعتًا للقوة في غير الشِّعر، لكنَّه يُعَدُّ ناردًا، كما في قول جرير يهجو الأخطل ويذكر شُجعانَ قومه:

**خَلِّ الطريقَ لقدْ لَقِيْتَ قُرُومَنا تَنْفِي القُرُومَ تَخَمُّطًا وَصِيَالا[41]**

---

([37])العاني، سامي، **إتمام الوفاء في معجم ألقاب الشعراء**، ط/3، مكتبة لبنان ناشرون، 1999. المقدمة.

([38])ينظر: ابن قتيبة، **الشعر والشعراء** ج1ص288.

([39])ابن منظور، محمد بن مكرم(ت711ه/1311م): **لسان العرب** ، دار صادر بيروت ط/3، 1994،مادة (فحل).

([40])جرير، **ديوانه ج1**ص166.

([41])**السابق** ج1ص75.

فهو وإنْ لم يذكر لفظ الفحل صراحةً فقد دلَّ على معناه بلفظٍ آخر، وهو القرم. وفي اتِّخاذ العرب فحل الإبل رمزًا للقوة في نعت الشعراء دليل على أنَّ للأُلفة بالبيئة أثرًا واضحًا في أهلها. فليس الفحل بمصدر القوة الوحيد في بيئة العربي لكنَّه جعله لألفته به المُقَدَّمَ لديه في مثل هذه الحال. وما جعل الشاعر العربي يَنعت نفسه بالفحل دون سائر الحيوانات في بيئته إلاَّ لكونه أكثر التصاقًا بإبله من سائر الحيوانات الأخرى. لذا يذهب إحسان عباس إلى أنَّ أوائل النقاد أخذوا المصطلح من حياة البداوة فكان مصطلح "الفحولة" الذي اختاره الأصمعي مُسْتَمَدًا من طبيعة حيوان الصحراء، وبخاصة الجمل. وأشار إلى أنّ النقاد قد استفادوا ذلك من عمل الخليل في المصطلح العروضي حيث أخذ مصطلحاته من مصطلحات بيت الشَّعَر وأجزائه[42]. والسِّباع الأخرى في بيئتهم قوية وتفوق قوتها قوة الجمل، ويمكن أنْ تُتَّخذ رمزًا لها كالأسود مثلًا وقد ورد استعمالها في شعرهم لكنَّه يُعَدُّ نادرًا، ومنه قول جرير:

**ما يَدَّري شُعراءُ النَّاسِ وَيْلَهُمُ مِنْ صَوْلَةِ المُخْدَرِ العَادِي بِخَفَّانَا[43]**

ومنه قولُ رجلٍ عَلاَّمةٍ وراويةٍ فصيح من قوم الراعي النّميري، يَذْكُرُه بعد هجاء جرير:" كان فحلَ مُضرٍ، حتى ضَغَمَهُ اللَّيْثُ! يعني جريرًا"[44]، ويؤكده شعرًا قول جرير أيضًا في هذا المعنى:

**فلا يَضْغَمَنَّ اللَّيْثُ عُكْلا بِغُرَّةٍ وعُكْلٌ يَشُمُّونَ الفَرِيسَ المُنَيَّبَا[45]**

وقد يُنْعَتُ الشاعرُ بالجواد، كقول جرير :

**ما قادَ مِن عَرَبٍ إليَّ جوَادَهم إلّا تركْتُ جوَادَهم محسُورا**
**أبْقَتْ مُرَاكَضَتِي الرِّهانَ مُجَرَّبًا عِنْدَ المواطنِ يُرْزقُ التَّيْسيرا[46]**

ويقول مروان بن أبي حفصة ناعتًا الشُّعراء بالجياد، ونفسه بالجواد السابق الذي يفوق أقرانه:

**وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الجِيَادِ فَفُتُّها بِعِنَانِ لا شَبِمٍ ولا مَبْهُورِ[47]**

ومنه نعت الشاعر بالكبش في قول دعبل مشيرًا فيه إلى جرير والفرزدق:

**لو عاش كبشا تميمٍ ثُمَّتَ استمعا شعري لماتا ومات الوغدُ ذو الرُّمَةِ[48]**

ومن المتداول في الثقافة العربية -شعرًا ونثرًا- أن الكبش يُطلق - مجازًا- على رئيس القوم وسيدهم وقائد الكتيبة لا على الشاعر. وفي المعاجم العربية شواهد على ذلك[49].

وقد نُعِتَ الشِّعرُ بالفحل. فعند القدامى قولهم : شعرٌ فحلٌ[50]، أو فحلُ الشعرِ[51]. كما نُعِتَ به غير الشعراء؛ ففي

---

([42])ينظر: عباس، إحسان(ت1424ه/2003م): **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ط/2، دار الشروق، عمان الأردن ، 1992،.ص51.

([43])جرير **ديوانه ج1**ص165.

([44])الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**،ج2 ص503.

([45])جرير، **ديوانه**، مجلد2ج3ص611.

([46])**السابق ج1** ص228-229.

([47])مروان ابن أبي حفصة، **ديوانه** ص 55.

([48])الخزاعي، دعبل بن علي(ت220ه/835م): **ديوانه**، تحقيق عبد الكريم الأشتر، ط/2،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،1983،ص92.

([49])ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة ( كبش).

([50])الأصفهاني، **الأغاني** ج1ص.142.

([51])ابن المعتز، **طبقات الشعراء**، ص262.

(الأغاني) " الفحول من المـُغَنِّين ابن سُريج ثم ابن محرز ثم مَعبد ..."[52]، نُعِتُوا بالفحول لشُهرتهم في هـذا الفـنّ، أو أنَّهم أقوى من غيرهم على أدائه، لكنَّ هذا كله يُعَدُّ من القليل النادر. وقد صرّح بعض الشعراء بتفسير معنى الشـاعر الفحل في غير الشعر. فعندما سئل رؤبة بن العجاج عن معناه أجاب: بأنَّه الراوية[53].

أمّا عند النقاد فقد قال الأصمعي حين سُئل عن معناه: " بأنَّه مَنْ له مَزيّة علـى غيـره، كمزيَّـة الفحـل علـى الحِقاق"[54]. ومعروفٌ أنّ تلك المزيّة هي القوة. والدليل على أنّ "الفحل" يستعمل في هذا المجال للدلالة على القوة عنـد النقاد الأوائل أنَّهم حين يفاضلون بين الشعراء يعبرون في كثير من المواضع بكلمة أفحلهم، بدلًا من أقواهم. من ذلـك قول الأصمعي عن مُهلهل:" لو قال مثل قوله" أليلتنا بذي حُسُمٍ أَنِيْرِي" خمس قصائد لكان أفحلهم"[55]. ومثله قـول ابـن سلّام:" وكان للشَّماخ أخوان، وهو أفحلهم"[56].

ويؤيّد هذا المعنى ما نسبه محمد بن أبي بكر الرازي في ( مغاني المعاني) لأحد الفضلاء عنـدما أجـاب عـن أفضلية أنواع الشعر؟ بأنّه: ما كان مؤنث اللفظ فَحْل المعنى، وشرح معناه بقوله:" وأراد بتأنيث اللفظ رقتـه وسـهولته، وبفحولته قوته وتمكّنه، وزاد عليه غيره فقال : أفضل الشعر ما كان لفظه فَحْلا، ومعناه بِكْـرًا. وأراد بفحولـة اللفـظ جزالته، وببكارة المعنى كونه غير مطروق "[57]. أمّا عند ابن منظور فالشاعرُ الغالبُ في الهجاء أو في المعارضـة أو الراوي هو الفحل[58]. وربما لُقِّب الشاعر الجاهلي علقمة بالفحل لتلك العلة[59].

أمَّا المـُفْلِق فقد شُرِحَ معناه في معاجم اللغة؛ ففسّره ابن منظور بالمجيد الذي يجيء بالعجائب فـي شـعره[60]. وفي (أساس البلاغة) للزمخشري شاعر مُفلق، يأتي بالفِلْق، وهو العَجَب[61]. وعند ابن دريد في (جمهرة اللغة): افتلـق الرجلُ وأفلق، إذا عمل عملًا فأجاد فيه وجوَّد، ومنه قولهم : شاعر مُفْلِق[62]. في حين اكتفى الجاحظ ببيان مرتبته ولـم يفسّر معناه فقال:" ودون الفحل الخنذيذ، الشاعر المفلق"[63]. لكنَّ ابن رشيق يفسّر معناه وَيَقْرِنُهُ بالخنذيذ، فيقول:" وشاعرٌ مُفْلِقٌ وهو الذي لا رواية له إلّا أنَّه مُجوِّد كالخنذيذ في شعره"[64].

وذكر أبو إسحاق الصابئ في رسالته الموسومة بـ( رسالة في الفرق بين المترسّل والشاعر) سـؤالًا ورده مـن أحد إخوانه :" عن السبب في أنَّ أكثر المترسّلين البُلغاءَ لا يُفْلِقُون في الشعر، وأنَّ أكثر الشُّعراء الفحول لا يُجيدون فـي

---

([52])الأصفهاني، **الأغاني**، ج1ص358.

([53])ينظر: القيرواني، ابن رشيق(ت456ه/1064م): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق الأساتذة توفيق النيفر ومختار العبيدي وجمال حمادة، المجمـع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، مطبعة علامات 2009، ج1ص207.

([54])الأصمعي، **كتاب فحولة الشعراء**، ص 19.

([55])**السابق** ص 18. وممّا يستأنس به في دلالة هذا المصطلح على القوة، ما ذكره الزمخشري، من قولهم في الأمثال:" قيل لجحا على مَن فِحَالتُك؟ قال : على أُميّ وأُخَيَّاتي، يضرب فيمن قوّته على الضعيف". ينظر: الزمخشري، جـار الله محمـود بـن عمـر(ت 538ه/1143م): **أسـاس البلاغـة**، دار صـادر، 1979.ص465 .

([56])الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ج1ص31.

([57])الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر(ت313ه/925م): **مغاني المعاني**، أشرف على نشره محمد زغلول سلام، الناشر منشأة المعـارف بالإسـكندرية، د.ت.ص34.

([58])ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (فحل).

([59])يُقالُ: لُقِّبَ علقمة بالفحل؛ لأنَّه غلب امرأ القيس في المباراة الشعرية التي قضتْ بينهما فيها أُمُّ جندب لعلقمة. ويُقالُ: لأنَّ في قومه رجلًا آخر يُدعى علقمة الخصي، فلُقِّب بالفحل تمييزًا عنه. ينظر: المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران(ت384ه/994م): **الموشح**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص37.

([60])ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (مادة فَلَقَ).

([61])ينظر: الزمخشري، **أساس البلاغة**، مادة ( فلق) ص 481.

([62])ينظر: ابن دريد، محمد بن الحسن(ت321ه/933م): **جمهرة اللغة** ، تحقيق رمزي منير البعلبكي، ط/1، دار العلم للملايين،1987، 965/2.

([63])الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج2ص6.

([64])القيرواني، **العمدة**، ج1ص208.

التَّرسُّل"[65]، لكنَّه لم يشرح معنى "لا يُفْلِقُون في الشعر". كما لم يشرحه المرزوقي فيما بعد عندما ذكر العبارة في (شرح ديوان الحماسة) في قوله:" ولماذا كان أكثر المترسّلين لا يفلقون في قرض الشعر"[66]. ويظهر أنّ معنى "لا يُفْلِقُون" أنَّهم لا يأتون بما يثيرُ الإعجاب في شعرهم، وليس معناه أنَّهم لا يستطيعون نظم الشعر.

أمَّا الخنذيذ فقد أشار الجاحظ إلى أنّ معناه هو التام، ثم ذكر أنّ هناك من يزعم أنّ معناه الخصي من الخيل؛ وكأنَّه يذهب إلى تفنيده[67]. بينما يَعدُّه ابن رشيق في نصه السابق مجوِّدًا في شعره كالمفلق. وقد ذكر ابن منظور في (لسان العرب) عددًا من معانيه، ومنها: الشاعر المُجيد المنقِّح المفلق[68].لكنّه – كما أسلفتُ- من النعوت التي لم تنتشر. وفسّر ابن قتيبة المطبوع بقوله:" المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبيَّنت على شعره رونق الطَّبع، ووشَى الغريزة، وإذا امْتُحِن لم يَتَلَعْثَم ولم يتزحَّر "[69].

والمُـفحم في معاجم اللغة الشاعرُ الذي لا يجيب مهاجيه[70]. والثُّنيان من الشعراء -كما شرح معناه ابن سلّام- العاجز الواهن. وشرح معنى المُقْحَم بأنَّه الذي يقتحم سِنًّا إلى أخرى ليس بالبازل والمستحكم[71]. على أنّ أصحاب معاجم اللغة شرحوا معاني كثير من هذه النعوت، أكثر ممّا شرحها النقاد أنفسهم. وبغض النَّظر عمّا يتحقق فيها من شروط المصطلح وما لا تحقق فيه الشروط، فإنّ بعض النقاد المعاصرين يَعدُّون أغلبها من مصطلحات النقد العربي القديم[72]، لكنَّهم يجمعون على أنّ الفحل" هو المصطلح القطب الرائج"[73] في مدوَّنات النقد القديم.

أما النّوع الآخر من نعوت الشعراء فهي النعوت غير القيميّة التي لا تُحيل إلى قيمة نقدية ولا توضِّح حكمًا نقديًا في شعر الشاعر. وهي أنواع متغايرة، ومنها: النعوت التحقيبية وهي التي تدل على حقبة عاش فيها الشاعر. فيُقال مثلا: شاعر جاهلي أو شاعر أموي أو عباسي وهكذا. وهي لا تدلُّ في مثل هذا السِّياق على القيم الشِّعرية المرتبطة بالحِقَب الزمنية، فلا يُفهَمُ إذا قيل: شاعر جاهليّ أو شاعر عبَّاسي أنَّه نُسِب إلى الأنموذج، أو إلى العصر الذهبي للشعر العربي. وعليه يكون الشاعر المنعوت به ذا قِيَم شعرية فنيَّة عالية، أو العكس؛ حتى إنْ اتَّخذ بعض القدماء العصر القديم معيارًا للفحولة والتقديم، مثل رأي أبي عمرو بن العلاء في الأخطل، ورأي الأصمعي في بشار[74].

وهذه النعوت أكثر ما نُعتتْ به الشواعر في كتب النقد وتاريخ الأب العربي، وكتب التراجم والسِّير. فيقال: شاعرة جاهلية أو عباسية أو أندلسية، وكذلك يكثر نعتها بالفصاحة والبلاغة والشُّهرة[75]. ولم يرد نعتها بفحلة. وثَمّة

---

([65])الصَّابئ، أبو إسحاق إبراهيم بن هلال(ت448هـ/1056م): **رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر**، تحقيق محمد الهدلق، ضمن كتاب رسائل تراثية في النقد والبلاغة، من إصدارات كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، 1437هـ،2016.ص71.

([66])**السابق** ص 60.

([67])ينظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج2ص9.

([68])ويقول ابن منظور في **لسان العرب مادة ( خنذ)**: " الخنذيذ: الخصي، وهو من الأضداد. ابن سيده: الخنذيذ، بوزن فِعليل، وهو من الخيل الخصي والفحل؛ وقيل: الخناذيذ جياد الخيل؛ قال خُفاف بن عبد القيس:

**وبراذينَ كابياتٍ وأتنًا         وخناذيذ خِصْيَةً و فحولا.**

وصفها بالجودة أيْ منها فحول ومنها خِصيان، فخرج بذلك من حد الأضداد. والخنذيذ: الشجاع البُهمة الذي لا يهتدى لقتاله. والخنذيذ: السخي التام السخاء. والخنذيذ: الخطيب المصقع...".

([69])ينظر: ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج1ص91.

([70])ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**(مادة فحم).

([71])ينظر: الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ج1ص125.

([72])نشير هنا – على سبيل المثال- إلى **معجم مصطلحات النقد العربي القديم**، لأحمد مطلوب، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط/1، 2001. وإلى كتاب **مصطلحات النقد العربي القديم لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين**، للشاهد البوشيخي.

([73])الزيدي، توفيق، **جدلية المصطلح والنظرية النقدية**، ط/1، قرطاج تونس 1998، ص110.

([74])قال أبو عمرو بن العلاء : "لو أدرك الأخطل من الجاهلية يومًا واحدًا ما قدمتُ عليه أحدًا". وقال الأصمعي عن بشار بن برد: "لو أنه سبق عصره لَعُدَّ من الفحول". الأصمعي، كتاب فحولة الشعراء ص13.

([75])السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت911هـ/1505م): **نزهة الجلساء في أشعار النساء**، تحقيق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت.

دلالة على سُلطة الخطاب الذكوري على المكوِّن النقدي في نعوت الشعراء. ولعل أنوثة المرأة الشاعرة هي ما حالت دون نعتها بالفَحْلة[76] لأنَّ الفحل إنما سُمّي فحلًا لفحولته وإنتاجه؛ لذا لم يُسَمَّ الخصيُّ فحلًا لتَعَذُّر إنتاجه. ومن النعوت ما يدل على القِدم والحداثة، أو على ديانة الشاعر، فيقال: إسلامي أو نصراني أو يهودي. ومنها النعت بالشُّهرة والمعرفة، أو ضدهما كالمغمور أو كثرة الشعر وقلَّته، أو ما يُفهم منه الغرض الشعري الذي يشتهر به الشاعر فيقال: شاعر هجَّاء أو مدَّاح أو وصَّاف أو غَزِل. ومن النعوت ما يُفهَمُ منه سلوك الشاعر كالنَّعتِ بالصِّدق أو الحكمة.

ومن طريف النعوت نعت الآمدي بعض الشعراء في عدة مواضع من كتابه (المؤتلف والمختلف) بالخبث مثل قوله:" وكان أُدَيْهِمُ شاعرًا خبيثًا"[77]،وقوله:" ومنهم الأعور السنبسي، شاعر خبيث"[78]. واللافت للنظر إكثار الآمدي من النعت به، مع أنَّه لم يبيِّن مواطن ذلك الخبث أو ما يقصد منه عند نعت الشعراء به. وهو كما يظهر من النعوت التي تبيِّن موضوع شعر الشاعر، ولا تُقارِب شعره جودة أو رداءة. وقد يُفسَّر بأنَّ الآمدي إمَّا أنَّه كان مُتديِّنًا فإذا قرأ في شعر الشاعر ما يراه انحرافًا عن الجادّة في اللفظ أو المعنى نعته بالخبث، أو لأنّ أولئك الشعراء هجَّاؤون، والقدماء غالبًا ما ينعتون الهجاء بالخبث، فيقولون: ومن الهجاء الخبيث. وإمَّا - وهو ما أميل إليه- أنَّه يشي بحِدّة الآمدي في النقد وسلاطته، وفي تحامله - في الموازنة - على أبي تمام برهان ذلك. وعلى أيَّة حال فهو نعت غير مقبول من وجهة نظر النقد على الأقل. ونَعْتُ الصفدي في(الوافي بالوفيات) لابن التعاويذي بالشاعر المـُطيق، وهو والمقتدر بمعنى[79].

وربما يدخل في هذا السِّياق ما يطلق على بعض الشعراء على سبيل المبالغة لبيان علو مكانتهم الشعرية، مثل: أشعر النّاس وأشعر الجن والإنس وأشعر العرب وشاعر زمانه وخاتم الشعراء وأمير الشعراء. ولم تذكر النعوت غير القيمية من ضمن المصطلحات النّقدية لأنّها كما يبدو أقرب إلى بيان عصر الشاعر أو موضوعات شعره أو مكانته الاجتماعية منها إلى بيان القيمة الفنيَّة لشعره. فهي أولى بموضوع التاريخ الأدبي منها بموضوع النقد.

- **النعوت: التحولات ودلالتها**

ونعوتُ الفحل والمُفلق والمجيد والمحسن، في مصادر القدامى المختلفة، من شعر أو مدوّنات نقدية أو كتب التراجم والسِّير نعوتٌ عند التَّأمل لا تكاد تخرج عن محيط الشعراء ولا تتعداهم إلى غيرهم من المبدعين الآخرين في أيِّ فنٍ من الفنون الأخرى، مثل الكُتّاب أو الخطباء أو القُصَّاص أو غيرهم، سوى النعت بالفحل الذي نُعِتَ به الشِّعر وغيرُ الشعراء، لكنَّه من النادر الاستعمال. والدلالة التي يؤديها هذا النعت عندهم في الغالب هي القوة، فإذا قيل : شاعرٌ فحلٌ، كان المقصود القويّ شعره.

أمّا في العصر الحديث فيرى بعض الباحثين المعاصرين أنّ مصطلح فحل تطوَّر من معنى الاقتدار غير المشروط على الشعر إلى الاقتدار المشروط[80]. في حين يرى إحسان عباس أنّ الأصمعي لا يَنْعَتُ الشاعرَ بالفحل إلاّ إذا غلبتْ صفة الشعر فيه، على كل الصفات الأخرى[81]. بينما يرى بعض الباحثين أنَّ النّقاد المعاصرين اتَّخذوا معنى فحل رمزًا لجودة الشعر بعد أن كان رمزًا للقوة عند القدماء، فإنَّ مصطلح " فحولة بمعنى الجودة الفنية هي من

---

الصفحات 31، 37، 50.

(76)جاء في **لسان العرب** ( مادة فحل):امرأة فَحْلَةٌ: أي سَلِيطة.

(77)الآمدي، الحسن بن بشر(ت371ه/982م):**المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء**، صححه وعلق عليه الدكتور ف. كرنكو، ط/1، 1411ــ،دار الجيل، بيروت، ص37.

(78)**السابق** ص46.

(79)ينظر: الصفدي، خليل الدين صلاح بن أيبك(ت764ه/1363م): **الوافي بالوفيات**، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط، وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط/1، 2000،1420.ج11ص4.

(80)ينظر: البوشيخي، **مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين**،ص88.

(81)ينظر: عباس، إحسان، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ص 53.

المصطلحات المولّدة في عصرنا"[82].

وبالرغم ممّا ذكر النُّقاد فيما بعد من تفسير المعنى المراد بمصطلح "الفحل" من عناصر أخرى تبقى القوة - بحسب إحسان عباس- المقياس المشترك لديهم[83]. لكنّ بعض النصوص والإشارات عند القدامى تدل على تحوّل مُبكرٍ لدلالة هذه القيمة من القوة إلى معنى آخر، هو الجودة. فعندما قال الأصمعي عن لبيد بن ربيعة إنَّه ليس بفحل، عقَّب أبو حاتم السجستاني قائلًا: "كأنَّه ينفي عنه جودة الشعر"[84]،ممّا يعني أنَّ ثمَّة فهمًا مغايرًا عند بعض القدامى يدلُ على تحوّلٍ في دلالة القيمة من القوة إلى الجودة قبل النقاد المعاصرين. لكنّ تسمية اختلاف الدلالة من معنى إلى آخر بين هذين المصطلحين تحوّلًا أقرب إلى التّجوز منه إلى الواقع؛ فالقوة والجودة في إتقان الصنعة قد تؤديان المعنى نفسه.

وما يمكن أنْ يُسمَّى تحوّلًا لهذه النعوت هو ما يشيع في كثير من مدوّنات النقد والأدب وفي كتب التراجم والسِيَر في العصر الحديث من تحوّلها إلى ألفاظ أخرى غير ألفاظ النعوت القديمة. فلم يَعُدْ أكثر النقاد والمترجمين المعاصرين ينعتون الشعراء بفحلٍ أو بمفلق، كما كان عند القدامى؛ بل أصبح هذان النعتان اليوم من القليل الاستعمال، إنْ لم يكونا من النادر. غير أنّ نعوت النقاد الذين يُعَدُّ تكوينهم الأدبي تراثيًا وثقافتهم الأدبية أكثرَ التصاقًا بالنقد القديم تأتي في الغالب على وَفق نعوت القدامى.

أمَّا الكثرة الكاثرة من النقاد ومؤرخي الأدب وكُتَّاب التراجم والسِيَر فقد تحوَّل النعت عندهم في حال الإشادة إلى الكِبَر والإبداع والأصالة والفن والعِظم والرِّقة والمَوهبة والحداثة، وفي حال الذَّم إلى الضَّعف والرداءة والتقليد. ولا يتسع المجال لإيراد أمثلتها كلها هنا، ومنها- على سبيل المثال- قول العقاد ردًا على الذين عابوا عليه حملته على شوقي:" يا خلق الله تعالوا فانظروا من يقول إنّ شوقيًا ليس بشاعر عظيم"[85]. ويقول زكي مبارك في ردٍّ له على العقاد :" ما ظنّكم برَجُلٍ يؤلِّف كتابًا عن شعراء مِصر، فيراهم جميعًا من الأكابر، ولا يستثني غير شاعر واحد هو شوقي"[86].

ويقول عبد الرحمن شكري :" وليس الشاعر الكبير من يُعنى بصغيرات الأمور"[87]. وقول مصطفى السحرتي:" ونسجل تجربة الشاعر العراقي الكبير جميل الزهاوي"[88]. وهم لا يخصّون بهذه النعوت الشعراء المعاصرين فحسب، وإنما ينعتون بها القدامى أيضًا كقول طه أحمد إبراهيم:" ولم يذكر لنا منزلة شاعر كبير كحسان"[89]. ونعت عباس حسن شوقيًا بالأكبر والكبير وزعيم الشعراء في كتابه( المتنبي وشوقي)[90]، ثم يقول في إهدائه الكتاب لهما :" إلى أكبر شاعرين عرفتْهما العروبة"[91]، ثم يقول في ختام حديثه عنهما:" بسطنا القول في هذين الشاعرين العظيمين"[92].

وتتكرر مثل هذه النعوت في كتب أكثر النُّقاد المطَّلعين على المناهج الحديثة فينعتون الشاعر تقليديًا أو حداثيًا وَفْقًا لاتّجاهه الفني. وتشيع نعوت أخرى في مدوّنات تاريخ الأدب وكتب التراجم مثل: أصيل وفنَّان ورقيق. فيقول الزركلي في (الأعلام) مترجمًا لأحد الشعراء: " شاعر رقيق"[93]. على أنَّ الغالب عليه ألا ينعت؛ ربما لأنّه شاعر ويعلم

---

([82])الزيدي، **جدلية المصطلح والنظرية النقدية**، ص111.

([83])ينظر: عباس، إحسان، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**،ص52.

([84])الأصمعي، **كتاب فحولة الشعراء**، ص15.

([85])العقّاد، عامر بن أحمد(ت1405ه/1985م):**معارك العقّاد الأدبية**، دار الجيل، بيروت لبنان، ط/2، 1402، 1982، ص24.

([86])**السابق** ص161.

([87])شكري، عبد الرحمن(ت1378ه/1958م):**دراسات في الشعر العربي**، جمعها وحققها وقدّم لها محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ط/1، 1415، 1995، ص 237.

([88])السحرتي، مصطفى عبد اللطيف(1403ه/1983م): **الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث**، ط/2،مطبوعات تهامة، جدة، 1984، ص15.

([89])إبراهيم، طه أحمد، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ص85.

([90])ينظر: حسن، عباس(ت1398ه/1978م): **المتنبي وشوقي، وإمارة الشعر، دراسة ونقد وموازنة**، ط/2 دار المعارف بمصر، د.ت. ص7-9.

([91])**السابق** صفحة الإهداء.

([92])**السابق** ص386.

([93])الزركلي، خير الدين(ت1396ه/1976م):**الأعلام**، ط/12، دار العلم للملايين، بيروت،1997. ج1ص43.

قيمة إصدار النعت، وغالبًا ما تأتي نعوته أكثر تخصيصًا، بمعنى أنّ النعت عنده يُفصِح عن السِّمة الغالبة على شعر الشاعر، مثل قوله:" شاعر مليح الشعر"[94]، وقوله:" شاعر بديع التشبيه"[95]. ويورد مُؤلِّف (معجم تراجم الشعراء الكبير) عدة نعوت تؤكد شيوع هذه المصطلحات الجديدة في نعت الشاعر وتحولها عن المصطلحات القديمة، فيأتي بنعوت غير شائعة من قبل، كالنعت بمقبول. ومنها على سبيل المثال قوله :" وابن الرومي شاعر كبير"[96]، وقوله:" والشاعر المُبدع، وشاعر مقبول"[97]. كما تُنعت الشاعرة بكبيرة ومبدعة. وربَّما نُعِت غير المشهورين بشعراء الظل، والمشاهير بفطاحل الشعراء.

وممَّا يُلحظ أنّ كتب التراجم الخاصة بالشعراء في العصر الحديث سارت على نمطين مختلفين: فالكتب التي يقوم على تأليفها أفراد غالبًا ما ينعتون الشعراء مثلما ينعت القدماء، لكنَّهم يختلفون عنهم في أنّ نعوتهم من النعوت الجديدة، في حين لا تنعت الشعراء كتب التراجم التي تقوم على تأليفها مؤسسات علمية أو لجان مُتخصِّصة [98]؛ ربما لأنّ من يتولون الترجمة فيها يدركون أهميّة إصدار مثل هذه النعوت التي تؤدي إلى حكم قيمة، ويعلمون من تكون له الأحقّية في إصدارها، فليس ما يطلق منها في الأعمال البيوغرافية بمثل ما يطلق منها في الأعمال النقدية. ولم تقتصر هذه النعوت على كتب النقد والتراجم والسِّير، بل تداولها الشعراء كذلك، مثل ما في قول حافظ إبراهيم:

**الضاربُ الجزيةَ منذ انتشى على يَرَاعِ الشاعرِ المُبدعِ[99]**

ومن إضافات هذا النعت قول أحمد نسيم :

**قالوا سكتَّ وأنتَ أكبرُ شاعرٍ جمَّ البلاغةِ رائعَ التبيانِ[100]**

وقول مصطفى الماحي:

**يا أبدعَ الشعراءِ سحرَ بلاغةٍ وجمالَ أسلوبٍ وحُسنَ بناءِ[101]**

غير أنَّ الأكثر رواجًا واستعمالا منها في مدوّنات النقاد والكتّاب والباحثين المعاصرين هو النعت بكبير ومُبدع. فلم يَعُدْ أكثر النقاد وغيرهم، وبخاصة أكثر كتّاب التراجم والسِيَر في العصر الحديث يَنْعتون إلا بهما، سواء تحدَّثوا عن شاعر قديم أو شاعر معاصر، بل أصبح النعتان يتصدّران عنوانات الكتب والبحوث في المجلات العلمية. فيُعَنْون إسعاف النشاشيبي كتابه عن أحمد شوقي بـ( العربية وشاعرها الأكبر أحمد شوقي)، ويقول في مقدمته:" واعلم أنّ الداعي إلى هذا العيد ظهور أكبر شاعر عربي بعد أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي في هذا الزمان"[102].

فنحن إذن أمام تحوّلٍ يمكنُ أنْ يُعَدَّ تطوّرًا دلاليًا لنعوت الشعراء إذا ما قيستْ هذه المصطلحات الجديدة بالألفاظ

---

([94])**السابق ج1**ص107.

([95])**السابق ج1**ص87.

([96])مراد، يحيى، **معجم تراجم الشعراء الكبير**، ط/1،دار الحديث، القاهرة،2006، ص107.

([97])**السابق** الصفحتان: 63، 113.

([98])ينظر: على سبيل المثال **معجم البابطين للشعراء المعاصرين**، ط/1، من إصدارات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت 1995.

([99])إبراهيم، حافظ(ت1351ه/1932م): **ديوانه**، دار العودة بيروت، د.ت. ص35.

([100]) نسيم، أحمد(ت1356ه/1938م): " صمت الحكيم" **مجلة أبولو**، المجلد الثالث العدد الرابع، ديسمبر سنة 1934م، ص587.

([101])الماحي، مصطفى(ت1396ه/1976م): **ديوانه**، ط/3، دار الفكر، د.ت. ص255.

([102])ينظر: النشاشيبي، إسعاف(ت1367ه/1948م): **العربية وشاعرها الأكبر أحمد شوقي**، مطبعة المعارف بمصر 1928،1346. يريد بالعيد هنا حفل مبايعة أحمد شوقي بإمارة الشعر.

المتداولة للنعوت القديمة. وقد نقف مليًا عند مستوى القيمة النقدية لهذه النعوت الجديدة. فمن أهم ما يُلحظ على هذه النعوت أنَّها لم تَعُدْ وقفًا على الشعراء وحدهم، بل أصبحتْ شائعة، يُنْعَتُ بها الشعراءُ وغيرُهم، فيُقال: شاعرٌ كبيرٌ، أو مبدعٌ، وكاتب كبير، أو مبدع، وهكذا، على خلاف النعوت القديمة التي لم تكن شائعة إطلاقًا، وإنما كانت خاصة بالشعراء لا تنصرف إلى غيرهم إلا نادرًا، بمعنى أنَّ الشاعر هو الذي يُنْعَتُ بها دون غيره، فيُقال: شاعرٌ فحلٌ أو مُفلقٌ، ولا يُقال: كاتبٌ مفلق، أو خطيبٌ فحل.

وهنا نقف على حرص النقاد القدامى ودقتهم في إطلاق الألفاظ واختيارها في تأدية المعاني المرادة. فعندما أطلقوا هذه النعوت على الشعراء ربطوها بهم دون غيرهم، وفسَّروها وحاولوا شرح معانيها. في حين أنَّ النقاد في العصر الحديث لم تكن نعوتهم خاصة بالشعراء، ولم يفسِّروا معاني هذه النعوت الجديدة أو يوضِّحوا دلالاتها، بالرغم من تطوّر مناهج النقد الأدبي الحديث واتصالها بالنظريات والمفاهيم الأدبية الغربية. فللكبير الذي لم يَنْعَتْ به القدامى شعراءهم، ولم يفسِّر النقاد المعاصرون دلالته عندما أطلقوه نعتًا على شعرائهم، له في الثقافة الإسلامية شيءٌ من القداسة؛ لأنَّه من أسماء الله جلَّ وعزَّ، وقد سمّى الله به نفسه، ونعتها به. وقد ورد بصيغ مختلفة في كتابه الكريم، وجاء نعتًا لأشياء أخرى في عدد من الآيات. فقد نُعت به الفوز والفضل، والأجر والإثم[103]. وقد حاول بعض العلماء والمفسّرين شرح معناه؛ فيقول ابن جرير الطَّبري إنَّ معناه:" الكبير الذي كلُ شيءٍ دونه"[104]. ويقول ابن القيِّم:" فالله سبحانه أكبر من كل شيء، ذاتًا وقدرًا وعزة وجلالة"[105].

ويلحظ المتأمّل أنّ كلمة كبير، أو الكبير ذات معان مُختلفة تتغير دلالاتها بحسب السِّياقات التي ترد فيها[106]. فكما يدل معناها المعجمي على الكِبَر والتقدم في السِّن، يخرج إلى معانٍ أُخَر متعددة الدلالات. فقد يدل على رئيس القوم، فيُقال: هذا كبير القوم، أي رئيسهم. وقد لا يكون أكبرهم سنًّا. وربما دلَّ على العلو في العلم والمعرفة، في مثل قوله تعالى:﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[107]. ويكون دالاّ على الكثرة كما يقال: عدد كبير، وهكذا. لكنَّ نَعْتَ الشعراء به لم يكن معهودًا في النقد العربي القديم، ويبدو أنَّه شاع أوّل ما شاع في أساليب كُتّاب التراجم والسيِّر في أواخر القرن السابع الهجري وما بعده، فنُعِتَ به الشعراء وغيرهم.

فلا يخص الذهبي به في( سِيَر أعلام النُّبلاء) فئة دون أخرى، وهو يُكْثِرُ من النعت به، ولعله من أوائل من ذكروه، إنْ لم يكن هو أوَّلهم. فقد جاء - على سبيل المثال- قوله:" الراعي من كبار الشعراء"[108]،وقوله:" ديك الجن كبير الشعراء"[109]، ثم يقول في سيرة أحد الزهاد:" بصريّ زاهد كبير"[110]، وقوله:" ابن قتيبة العلاّمة الكبير"[111]، على أنّ الذهبي لم يقتصر على هذا النعت وحسب، بل أورد عددًا من النعوت القديمة أيضًا، كالفحل والمجيد، كما ورد

---

([103])جاء "كبير" في **القرآن الكريم** مقترنًا بأل كقوله تعالي: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَالِ﴾ ، سورة الرعد الآية9. وجاء مجرّدًا منها في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًا كَبِيْرًا﴾. سورة النساء الآية 34.وينظر: سورة البروج الآية 11.

([104])الطبري، محمد بن جرير(ت311ه/923م): **تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، حقَّقه وخرَّج أحاديثه محمود محمد شاكر، وراجع أحاديثه أحمد محمد شاكر، الناشر مكتبة ابن تيمية تصويرًا عن دار المعارف الأصلية، ط/2، د.ت. ج16ص366.

([105])ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر(ت751ه/1349م): **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطِّلة**، دار العاصمة الرياض، ط/1، 1988، ج4ص1379.

([106]) من هذه السياقات ما يرد في لغة الشُّبان اليوم من استعمالهم لكلمة( كبير) في سياق تشجيع بعضهم بعضًا. فيقولون: كبير ويمطّونها في أثناء النطق بها تعبيرًا عن إعجابهم بفعل أحدهم وتعزيزًا له.

([107])سورة **طه**، الآية 71.

([108])الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله(ت748ه/ 1348م):**سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط/3، مؤسسة الرسالة 1985، ج4ص597.

([109])**السابق**، ج11ص163.

([110])**السابق**، ج4ص601.

([111])**السابق**، ج13ص296.

النعت/ كبير عند السيوطي في (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) مثل قوله:" الشاعر الأديب الكبير"[112]. ثُـمَّ أخذ هذا النعت ينتشر في التراجم والسِّير الحديثة، وانتقل منها إلى كتب النقد حتى أصبح ثقافة لدى العامة والخاصة.

وليس تحديد دلالة القيمة النقدية التي يحيل إليها هذا النعت بالأمر اليسير لما قد يلتبس معناه بـدلالات أخـرى، ولعدم استقراره على دلالة واضحة أو محددة. ذلك أنَّ مردّه إلى السياقات التي يـرد فيهـا. وقـد أحـسَّ أحـد النقـاد المعاصرين بهذا الالتباس الذي يؤدي إليه هذا النعت، ممّا اضطره إلى الاحتراز منه بإيضاح مراده. فيقول فـي نعتـه لأحد الشعراء:" وليس من قبيل الصدفة أن يكون ديوان الشاعر الكبير - لا في العمر، وإنمـا فـي القامـة الإبداعيـة- موسومًا بعنوان"[113]. وبالرغم من أنَّ هذا الاحتراز يشي بضرورة تفسير دلالات هذه النعوت الجديدة أو تأويلهـا، لـم يفسر النُّقاد معانيها، ولم يبيِّنوا دلالتها، كما صنع أسلافهم الذين حاولوا بيان دلالات النعوت التي أطلقوها على الشعراء، ففسروا معاني بعضها، كالفحل والخنذيذ والمفلق والمطبوع، والمغلَّب والثُّنيان والمُقحَم، على النحو المذكور سلفًا[114].

فقد يُفهَمُ حين يُنعَتُ الشاعر بالكبير أنَّه كبير أو أكبر من غيره من الشعراء من حيث قوة الشعر، أو جودتـه أو إحسانه أو تجويده. وقد يماثله في المعنى عظيم لكنَّه أقل تداولاً منه في المصادر المختلفة. وليس النعـت/ مبـدع بأقـل غموضًا من حيث الدلالة من النعت/ كبير، ولعل هذا عائد إلى صعوبة تحديد المفهوم على المستوى الدلالي. فليس ثَّمـة اتفاقٌ بين الباحثين على مُحددٍ دلالي واحد لمفهوم الإبداع، بالرغم من وضوح معناه على المستوى اللغوي.

فمعنى أبدع الشيء -كما هو معروف- بدأه وأنشأه، وأبدعتُ الشيء اخترعته لا على مثال سابق[115]. والبـديع: المُبدع. والبديع : المُحدَث العجيب. وإذا ما أردنا ربط هذين النعتين من حيث الدلالة بالنعتين القديمين الفحـل والمفلـق لانعدم رابطة دلالية بينهما. فكما أنّ معنى "المفلق" هو من يأتي بالعجيب في شعره، ومعنى المُـبدع العجيب ومن أتـى بشيء لم يُسبق إليه. فكأنَّ هذا النعت الحديث " مُبدع" يأتي في مقابل النعت القديم " مُفلق" لتقارب معنييهما اللغويين على الأقل.

وكذلك عند التَّأمل في دلالة النعت" كبير" فهو قد يأتي مقابلًا للنعت " فحل" في النقد القديم، هذا على اعتبار تفسير الأصمعي لمعنى الشاعر الفحل مِعيارًا، وهو عنده مَن له مزيَّة على غيره، كمزيَّة الفحل على الحِقاق. فالفحلُ إنَّما يتميّزُ على الحِقاق بأنَّه أكبرُ منها في كل شيء، في جسمه وقوته، وفحولته وإنتاجه. فكأنَّما يَعْني النقاد المعاصرون الفحـل - وعوا ذلك أم لم يعوه- حين يَنْعتون الشاعرَ "بكبير". فقولهم: كبار الشعراء، أو الشعراء الكبار، هو مثلُ من حيث الدلالة ما كان يُقال قديمًا: فحول الشعراء، أو الشعراء الفحول. وقد جاء في تقريضٍ لمحمود أبو الوفا لديوان صديقه مصـطفى الماحي بعد صدوره إشارة قد تكون دالّة:

**أهلا بديوان الصَّـديق الشَّاعر الفحل الكبير[116].**

وليس المُراد أنَّ النعوت الرائجة في التراث النقدي كالفحل والمُفلق والمُجيد والمُحسن قد نُسـخت أو أُهملـتْ أو تجاوزها الزمن ولم تَعُدْ تستخدم في مدوّنات النقد المعاصر، وقامت النعوت الجديدة مقامها، فأصـبحت تـؤدي الدلالـة نفسها، وإنَّما المراد أنَّه قلّ استعمالها، وقد تؤدي بعض النعوت الرائجة في النقد المعاصر دلالتها. على أنَّه يكثـر ورود النعوت القديمة في كتب النّقاد ومقالاتهم أو بالأدق الذين هم أكثر تَمَثُّلا للتراث النقدي. إذ لا يكاد طه حسين مثلًا ينعـت

---

([112])السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم د.ت.ج1ص566.

([113])فضل، صلاح، **نقد الشعر**، ط/1،دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، 2009.ج1ص337.

([114])نشير هنا – على سبيل المثال – إلى تفسير ابن سلام الجمحي بأنّ الثنيان هو العاجز الواهن، والمغلَّب بأنّه المغلوب. ينظر: **طبقات فحول الشعراء، ج1**ص125.

([115])ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بدع).

([116])الماحي، **ديوانه**، ص 422.

بغيرها.

ويتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ أوائل النقاد العرب في إطلاقهم نعوت الشعراء كانوا أكثر ارتباطًا بموضوع النقد، وأكثر دقّة في دلالة ألفاظهم، وأداء معانيهم من المتأخرين، حيث لم يستخدموا في نعوتهم للشعراء ألفاظًا مشاعةً تطلق على الشعراء وغيرهم، كما هي الحال في النقد الحديث، وإنما كانت نعوتهم خاصة بالشعراء، محددة المفهوم، تحيل في أغلبها إلى أحكام نقدية. ومع أنَّه ربما يُقال إنَّ أحكامهم النقدية آراء انطباعية لا تقوم على التفسير والتأويل والتأمل والتحليل فقد جاءت في الغالب واضحة الدلالة، من حيث القيمة النقدية التي تميّز شعر الشاعر إنْ جودة، أو رداءة.

ولم تكن النعوت التي تطلق على الشعراء عند أكثر المعاصرين في النقد الأدبي الحديث، أو كتب التراجم والسِّير واضحة الدلالة في إبراز القيمة النقدية لشعر الشاعر. وإنّما جاءتْ مصطلحات منفتحة تستوعب الشعراء وغيرهم، ولا ضابط معرفيًا مُتّفقًا عليه لمفاهيمها.

وهي وإنْ كانت أوسع دلالة، وأشدَّ وقعًا وأكثر بريقًا من سابقتها على المستوى اللفظي، فليس لها في الخطاب النقدي الحديث قيمةٌ نقديةٌ على غرار قيمة النعوت في خطاب النقد القديم. وإنَّما هي عند التَّحقّق ألفاظ إشادة غير خاصة بأحد من المُبدعين، مثل ما يُقال: مُتميّز ومُبرّز وممتاز وهكذا. ولعل التَّأثر بثقافة المُحيط، ولغة العصر، وربما الترجمة، هو ما فرض على النقادِ وغيرهم من كُتَّاب التراجم والسِّير في العصر الحديث اتِّخاذ هذه المصطلحات المشتركة في نعت الشاعر وغيره.